

THE PRINCE GHAZI TRUST  
FOR QUR'ANIC THOUGHT



# الكرامات

نظام الدين الحسن النيسابوري

(المتوفى: ٨٥٠هـ)

اعداد

زياد حبُّوب أبو رجائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إلى الله الكريم أرغب في إبداع غرائب  
القرآن، وبفضله العميم أتأهب لإبداع  
رغائب الفرقان، فإليه منتهى الأمل  
والسؤال، وهذا حين أفتتح فأقول:  
الحمد لله الذي جعلنا ممن شرح صدره  
للإسلام فهو على نور من ربه وجبلي ذاك  
نفس أبيّة وهمّة عليّة لا تكاد تستأنس إلا  
بذكر حبه. أعاف سفساف الأمور، وأخاف  
الموبقات الموجبات للثبور. أميل عن زخرف

الدينيا وزبرجها، وأكبح النفس أن تحوم  
حول مخرجها ومولجها.

هي النفس ما حملتها تتحمل  
إن أرسلت استرسلت وإن قدعت انقدعت  
في الأول. والله درّ السلف الشرر العيون إلى  
الأمانى الفارغة الفانية، والأضاليل الملهية  
المنبئة عن السعادات الباقية. تاقت قلوبهم  
إلى الكرامات الدائمات واشتاقت أرواحهم  
إلى اللذات الحقيقية، وتاهت ضمائرهم في  
بيداء عظمة الملك والملكوت وتلاشت  
سرائرهم في دأماء ديمومية العزة

والجبروت، فخلصوا من الناسوت ووصلوا  
إلى اللاهوت، وفنوا بشهوده وبقوا بوجوده  
ورضى كل منهم بقضاء معبوده، فتجلت لهم  
الذات واتحدت عندهم المختلفات فطابت  
لهم الغدوات واعتدلت لهم العشيات، ولم  
تطمح أعينهم إلا إلى تحصيل لما يقرب إلى  
الله زلفى وما جرت ألسنتهم إلا بذكر الحق  
طوبى لهم وبشرى. أسألك اللهم الاقتداء  
بأولئك، والتوفيق لشكر ما أسبغت عليّ من  
عطائك وأتممت من نعمائك، وأعوذ بك أن  
أزلّ أو أضلّ فيما آتي وأذر، وأن أركن إلى

الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض  
الأكبر. ثَبَّتْ أَقْدَامَ أَقْلَامِي عَلَى الصِّدْقِ، وَلَا  
تَقْضُ أَنْ يَنْطِقَ فَمِي بِكَلَامِ سِوَى الْحَقِّ،  
وَاجْعَلْنِي بِفَضْلِكَ مِمَّنْ لَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا  
يَرْغَبُ إِلَّا فِيمَا لَدَيْكَ. بَرَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ  
عَلِمَ مِنِّي، وَرَبَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ حَقٍّ يَوْجِبُ ذَلِكَ  
عَلَيْكَ،

فَإِنْ افْتَخَرْتَ فِيمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَقَدْ أَمَرْتَ  
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ [الضحى: ١١] ، وَإِنْ  
اسْتَغْفَرْتَ فَمِمَّا أَسْرَفْتَ عَلَى نَفْسِي وَقَدْ

قلت وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ  
يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً  
[النساء: ١١٠].

فيا من لا يوجد في جوده شوب غرض ولا  
علّة، شرفني في الآخرة بالعزّة، واحرسني في  
دنياي من الذلّة، ولا تؤاخذني بالنقصان  
الإمكاني ولا تعاقبني بالنسيان الإنساني حتى  
يكون لك الفضل في الآخرة والأولى، والثناء  
في المبدأ والمحمدة في العقبى. أدعوك دعاء  
البائس الفقير المستعين، وأتضرّع إليك  
تضرّع الذليل المهين المستكين المائل بين يدي

مولاه الآيس بالكلية عمّن سواه فاسمع  
فإنك سميع الدعاء وأجب فإنك قادر على ما  
تشاء. والصلاة والسلام على عبيدك،  
المخصوصين بتأييدك، المنزهين عن الأدناس  
الجسميّة، المطهرين عن الأرجاس النفسية،  
الفائزين بأشرف مراتب الأنس، الواصلين  
إلى أعلى مدارج الأنس، الضاربين في أرقى  
معارج القدس، ولا سيما المصطفى محمد  
الذي أشرق في سماء النبوة بدرا، وأشرف  
على بساط الرسالة صدرا، سيد الثقلين  
وسند الخافقين، إمام المتقين ورسول رب

العالمين الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين،  
المعقر له جباه الأملاك، المشرف بلولاك لما  
خلقت الأفلاك، صلى الله عليه وعلى آله  
مفاتيح الجنة وأصحابه مصابيح الدحنة  
وسلم تسليما كثيرا.

وبعد، فإن المفتقر إلى عفوره الكريم  
الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام  
النيسابوري نظم الله أحواله في أولاه وأخراه  
يقول: من المعلوم عند ذوي الأفهام أن كلام  
الملوك ملوك الكلام، وبقدر البون بين  
الواجب الذات والممكن الذات يوجد



التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام  
المخلوقات. ولا سيما إذا وقع في معرض  
التحدي الذي يظهر النبي هنالك من  
المتنبي، وهذا شأن القرآن العظيم والفرقان  
الكريم الذي أخرس شقاشق المناطق،  
قضهم بقضيتهم.

وطالما طالبني بعض أجلة الإخوان وأعزة  
الأخذان أن أجمع كتابا في علم التفسير  
مشملا على المهمات مبني على ما وقع إلينا  
من نقل الأثبات وأقوال الثقات، من  
الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين

والفضلاء المحققين المتقدمين والمتأخرين-  
جعل الله تعالى سعيهم مشكورا وعملهم  
مبرورا- فاستعنت بالمعبود وشرعت في  
المقصود، معترفا بالعجز والقصور في هذا<sup>(١)</sup>

---

(١) من مقدمة كتابه غرائب القرآن ورغائب الفرقان عند سورة الكهف

التعريف بالمصنف

القمي النيسابوري

نظام الدين حسن بن محمد بن حسين  
القمي النيسابوري إمام المفسرين وعصام  
المتبحرين نظام الملة والدين حسن ابن  
محمد بن الحسين الخراساني المعروف  
بالنظام الأعرج النيسابوري أصله وموطن  
أهله وعشيرته مدينة قم. وهو من أهل  
السنة في بلاد فارس ايران اليوم.

وكان منشأه وموطنه بديار نيسابور وأمره في  
الفضل والأدب والتبحر والتحقيق وجودة

القريحة أشهر من أن يذكر وكان من كبراء  
الحفاظ والمفسرين ومن علماء رأس المائة  
التاسعة علي قرب من درجة جلال الدين  
الدواني وابن حجر العسقلاني وقرنائهم  
(روضات الجنات ص ٢٢٥)

١ - شرح شافية الإمام ابن الحاجب - طبع

فارس

٢ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان - ويعرف  
بتفسير النيسابوري.

قال مؤلفه: لما طلبني بعض أجلة الإخوان أن  
اجمع كتابا في التفسير مشتملا على المهمات  
فشرعت.

ولما كان التفسير الكبير المنسوب إلى الإمام  
النحرير الفخر الرازي اسمه مطابقا لمسماه  
وفيه من اللطائف والبحوث ما لا يحصى  
ومن الزوائد والأثوث ما لا يخفى فحاذيت  
سباق مراده وأوردت حاصل كلامه (من غير  
إملال) وضممت إليه ما وجدت في الكشاف  
وفي سائر التفاسير من المهمات (كشفا  
الظنون).

~~~~~

فرغ من تأليفه سنة ٧٢٨ - طهران ١٢٨٠  
جزء ٣ وسنة ١٣١٣ جزء ١ ص ٧٤٦ -  
وطبع بهامش جامع البيان في تفسير القرآن  
للإمام ابن جرير الطبري (مصر ١٩٠٠) (٢)

---

(٢) [ نقلا عن معجم المطبوعات ]

## جواز الكرامات

وما تتوقف هي عليه فنقول:

الولي مشتق من الولي وهو القرب. ف قيل: «فعليل» بمعنى «فاعل» كعليم وقدير وذلك أنه توالى طاعاته من غير تخلل معصية. وقيل: بمعنى «مفعول» كقتيل وذلك أن الحق سبحانه تولى حفظه وحراسته وقرب منه بالفضل والإحسان، فإذا ظهر فعل خارق للعادة على إنسان فإن كان مقرونا بدعوى الإلهية كما نقل أن فرعون كانت تظهر على يده الخوارق، وكما ينقل أن

الذجال سيكون منه ذلك فهذا القسم  
جوزه الأشاعرة لأن شكله وخلقه يدل على  
كذبه فلا يفضي إلى التلبيس وإن كان  
مقرونا بدعوى النبوة. فإن كان صادقا وجب  
أن لا يحصل له المعارض، وإن كان كاذبا  
وجب. ويمكن أن يقال: إن

الكاذب يستحيل أن يظهر منه الفعل  
الخارق وإليه ذهب جمهور المعتزلة،  
وخالفهم أبو الحسين البصري وصاحبه  
محمود الخوارزمي وجوزا ظهور خوارق  
العادات على من كان مردودا على طاعة الله



وسموه بالاستدراج. وقد يفرق بين النبي الصادق والساحر الخبيث بالدعاء إلى الخير والشرو إن كان مقرونا بدعوى الولاية فصاحبه هو الولي، ومن المحققين من لم يجوّز للولي دعوى الولاية لأنه مأمور بالإخفاء كما أن النبي مأمور بالإظهار. ثم إن المعتزلة أنكروا كرامات الأولياء وأثبتها أهل السنة مستدلين بالقرآن والأخبار والآثار والمعقول. أما القرآن فكقصة مريم ونبأ أصحاب الكهف. قال القاضي: لا بد أن يكون في ذلك الزمان نبي تنسب إليه تلك

الكرامات. وأجيب في التفسير الكبير بأن إقدامهم على النوم أمر غير خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لأحد، وأما قيامهم من النوم بعد ثلاثمائة سنة فهذا أيضا لا يمكن جعله معجزة لأن الناس لا يصدقونهم في هذه الواقعة لأنهم لا يعرف كونهم صادقين في هذه الدعوى إلا إذا بقوا طول هذه المدة وعرفوا أن هؤلاء الذين جاؤا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلاثمائة وتسع سنين، وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة

لأحد من الأنبياء، فلم يبق إلا أن تجعل  
كرامة لهم.

ولقائل أن يقول: لم لا يجوز أن يكون نفس  
بعثهم معجز النبي هذا الزمان؟ وأما أن ذلك  
البعث بعد نوم طويل فيعرف بأمارات آخر  
كما مر من حديث الدرهم وغيره. وأما الأخبار  
فمنها ما

أخرج في الصحاح عن أبي هريرة عن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه قال: لم يتكلم في  
المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصبي في  
زمان جريج وصبي آخر. أما عيسى فقد

عرفتموه، وأما جريج فكان رجلا عبدا في بني إسرائيل وكانت له أم وكان يوما يصلي إذ اشتاقت إليه أمه فقالت: يا جريج فقال: يا رب الصلاة خير أم رؤيتها ثم صلى. فدعته ثانيا مثل ذلك حتى كان ذلك ثلاث مرار. وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على أمه فقالت:

اللهم لا تمته حتى تريه المومسات. وكانت في بني إسرائيل زانية فقالت لهم: أنا أفتن جريجا حتى يزني فأنته فلم تقدر عليه شيئا وكان هناك راع يأوى بالليل إلى أصل

صومعته فأرادت الراعي على نفسها فأتاها فولدت غلاما وقالت: ولدي هذا من جريج. فأتاه بنو إسرائيل وكسروا صومعته وشتموه فصلى ودعا ثم نخس الغلام. قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده يا غلام من أبوك؟ فقال: فلان الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا إليه وقالوا نبني صومعتك من ذهب وفضة فأبى عليهم وبنها كما كانت. وأما الصبي الآخر فإن امرأة كانت معها صبي ترضعه إذ مر بها شاب جميل ذو شارة

فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا. فقال  
الصبي: اللهم لا تجعلني مثله.  
ثم مر بها امرأة ذكروا أنها سرقت وزنت  
وعوقبت فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل  
هذه.

فقال: اللهم اجعني مثلها. فقالت له أمه في  
ذلك فقال: إن الراكب جبار من الجبابرة وإن  
هذه قيل لها سرقت ولم تسرق وزنت ولم  
تزن هي تقول حسبي الله» .  
ومنها ما

روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فأواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت لا أغبق قبلهما فناما في ظل شجرة يوما فلم أبرح عنهما وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق قبلهما فقمت

والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى ظهر  
الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن  
كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما  
نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت  
انفراجا لا يستطيعون الخروج منه. ثم قال  
الآخر اللهم إنه كانت لي ابنة عم وكانت أحب  
الناس إليّ فأردتها عن نفسها فامتنعت حتى  
أملت سنة من السنين فجاءتني وأعطيتها مالا  
عظيما على أن تخلي بيني وبين نفسها فلما  
قدرت عليها قالت لا أذن لك أن تفك الخاتم  
إلا بحقه فتخرجت من ذلك العمل وتركتهما



وتركت المال معها اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم قال الثالث اللهم إني استأجرت أجراء أعطيتهم أجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت أجرته حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أدِّ إليّ أجرتي فقلت له كل ما ترى من الإبل والغنم والرقيق من أجرتك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إني لا

أستمزئ بأحد فأخذ ذلك كله اللهم إن كنت  
فعلته ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه  
فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا  
يمشون» «١»

وهذا حديث صحيح متفق عليه.

ومنها

قوله صلى الله عليه وسلم: «رب أشعث أغبر  
ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله  
لأبره» «٢» .

ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به  
على الله. ومنها

رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بيننا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها إذا التفتت البقرة وقالت إني لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث فقال الناس:

سبحان الله! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر» «٣» .

ومنها

رواية

~~~~~  
(١) رواه البخاري في كتاب الإجارة باب ١٢.

مسلم في كتاب الدعوات حديث ١٠١.

(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب باب ٥٤.

[.....]

(٣) رواه البخاري في كتاب الحرث باب ٤.

كتاب فضائل الصحابة باب ٥. مسلم في

كتاب الفضائل حديث ١٣. الترمذي في كتاب

المناقب باب ١٦. أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٥،

٢٤٦).

أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:

«بيننا رجل سمع رعدا أو صوتا في السحاب

~~~~~  
أن اسق حديقة فلان قال فغدوت إلى تلك  
الحديقة فإذا رجل قائم فيها فقلت له: ما  
اسمك؟

قال: فلان ابن فلان. فقلت: فما تصنع  
بحديقتك هذه إذا صرمتها؟ قال: ولم تسأل  
عن ذلك؟ قلت: لأنني سمعت صوتا في  
السحاب أن اسق حديقة فلان. قال: أما إذ  
قلت فإني أجعلها أثلاثا فأجعل لنفسي  
ولأهلي ثلثا وأجعل للمساكين وأبناء السبيل  
ثلثا وأنفق عليها ثلثا» «١»

~~~~~

وأما الآثار فمن كرامات أبي بكر الصديق أنه لما حملت جنازته إلى باب قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر بالباب فإذا الباب قد فتح فإذا هاتف يهتف من القبر أدخلوا الحبيب إلى الحبيب. ومن كرامات عمر ما روي أنه بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى سارية بن حصين. فبينما عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته يا سارية الجبل الجبل. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وكتبت تاريخ هذه الكلمة.

فقدم رسول ذلك الجيش. فقال: يا أمير المؤمنين غدونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فدهمونا فإذا بإنسان يصيح يا سارية الجبل فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة. قال بعض العلماء: كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه قال لأبي بكر وعمر: أنتما مني بمنزلة السمع والبصر.

فلما كان عمر بمنزلة البصر لا جرم قدر على رؤية الجيش من بعد. ومنها ما روي أن نيل

مصر كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقي فيه جارية حسناء. فلما جاء الإسلام كتب عمرو بن العاص بهذه الحالة إلى عمر. فكتب عمر على الخزف: من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجري بأمرك فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت تجري بأمر الله فاجر على بركة الله. وأمر أن يلقي الخزف في النيل فجرى ولم يقف بعد ذلك. ووقعت الزلزلة بالمدينة فضرب عمر الدرة على الأرض وقال: اسكني بإذن الله فسكنت.



~~~~~

ووقعت النار في بعض دور المدينة فكتب  
عمر على خزفة: يا نار اسكني بإذن الله تعالى  
فألقوها في النار فانطفأت في الحال. ويروى  
أن رسول ملك الروم جاء إلى عمر وطلب  
داره فظن أن داره مثل قصور الملوك  
فقالوا: ليس له ذلك إنما هو في الصحراء  
يضرب اللبن. فلما ذهب إلى الصحراء رأى  
عمر واضعا درته تحت رأسه وهو نائم على  
التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال في  
نفسه: أهل الشرق والغرب يخافون منه وهو

على هذه الصفة فسل سيفه ليقترله فأخرج  
الله أسدين من الأرض

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد حديث ٤٥.  
أحمد في مسنده (٢/٢٩٦).

فقصداه فخاف فألقى السيف فانتبه عمر  
وأسلم الرجل. قال أهل السير: لم يتفق لأحد  
من أول عهد آدم إلى الآن ما تيسر له فإنه  
مع غاية بعده عن التكاليف كيف قدر على  
تلك السياسات، ولا شك أن هذا من أعظم  
الكرامات. وأما عثمان فعن أنس قال: مررت

في طريق فوقعت عيني على امرأة ثم دخلت  
على عثمان فقال: ما لي أراكم تدخلون عليّ  
وأثار الزنا عليكم؟! فقلت: أوحى نزل بعد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لا  
ولكن فراسة صادقة. وقيل: لما طعن  
بالسيف فأول قطرة سقطت من دمه  
سقطت على المصحف على قوله:  
فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ  
[البقرة: ١٣٧]. ويروى أن جهجاها الغفاري  
انتزع العصا من يده وكسرها في ركبته  
فوقعت الأكلة في ركبته.

~~~~~

وأما علي صلوات الله عليه فيروى أن واحدا  
من أصحابه سرق وكان عبدا أسود فأتي به  
إلى علي عليه السلام فقال: أسرقت؟ قال:  
نعم. فقطع يده فانصرف من عند علي رضي  
الله عنه فلقية سلمان الفارسي وابن الكواء  
فقال ابن الكواء: من قطع يدك؟ قال: أمير  
المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول  
وزوج البتول. فقال: قطع يدك وتمدحه. قال:  
ولم لا أمدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني  
من النار. فسمع سلمان ذلك فأخبر به عليا  
رضي الله عنه فدعا الأسود ووضع يده على

ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات،  
فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن  
اليد فرفعنا الرداء فإذا اليد كما كانت بإذن  
الله تعالى.

وأما سائر الصحابة فعن محمد به المنذر أنه  
قال: ركبت البحر فانكسرت السفينة التي  
كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحني  
اللوح في أجمة فيها أسد، فخرج إليّ أسد  
فقلت: يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال: فتقدم ودلني على  
الطريق ثم همهم فطننت أنه يودعني ورجع.

وروى ثابت عن أنس أن أسيد بن حضير  
ورجلا آخر من الأنصار خرجا من عند رسول  
الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب من  
الليل قطع، وكانت ليلة مظلمة وفي يد كل  
واحد منهما عصاه فأضاءت عصا أحدهما  
حتى مشيا في ضوئها، فلما افترقا أضاءت  
لكل واحد منهما عصاه حتى مشى في ضوئها  
وبلغ منزله. وقيل لخالد بن الوليد إن في  
عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلا  
فطاف في العسكر فرأى رجلا على فرس  
ومعه زق من خمر فقال: ما هذا؟ فقال: خل.

فقال خالد: اللهم اجعله خلا. فذهب الرجل إلى أصحابه وقال: أتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها: فلما فتحوا فإذا هي خل. فقالوا: والله ما جئنا إلا بخل. فقال: هذه والله دعوة خالد. ومن الوقائع المشهورة أن خالد بن الوليد أكل كفا من السم على اسم الله وما ضره. وعن ابن عمر أنه كان في بعض أسفاره فلقي جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع عن طريقهم

ثم قال: إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه  
ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه  
شيء.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث  
العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم  
وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم  
الله الأعظم فمشوا على الماء.

وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات  
كثيرة ولا سيما في كتاب تذكرة الأولياء ومن  
أرادها فليطالعها.



وأما المعقول فهو أن الرب حبيب العبد  
وحبيب الرب لقوله يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ [المائدة:  
٥٤] فإذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه إلى  
حيث يفعل كل ما أمره الله. فأبي بعد في أن  
يفعل الرب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة  
واحدة ما يريد العبد. وأيضا لو امتنع إظهار  
الكرامة فذلك إما لأجل أن الله تعالى ليس  
أهلاله فذلك قدح في قدرته، وإما لأن  
المؤمن ليس أهلاله وهو بعيد لأن معرفة  
الله والتوفيق على طاعته أشرف العطايا  
وأجزؤها، وإذا لم يبخل الفياض بالأشرف

فلأن لا يبخل بالأدون أولى ومن هنا قالت  
الحكماء: إن النفس إذا قويت بحسب قوتها  
العلمية والعملية تصرفت في أجسام العالم  
السفلي كما تتصرف في جسده. قلت: وذلك  
أن النفس نور ولا يزال يتزايد نوريته  
وإشراقه بالمواظبة على العلم والعمل  
وفيضان الأنوار الإلهية عليه حتى ينبسط  
ويقوى على إنارة غيره والتصرف فيه،  
والوصول إلى مثل هذا المقام هو المعني بقول  
علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: والله ما  
قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة

ربانية. حجة المنكرين للكرامات أن ظهور الخوارق دليل على النبوة، فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة. وأجيب بالفرق بين المعجز والكرامة بأن المعجز مقرون بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية. وأيضا النبي يدعي المعجزة ويقطع بها. والولي إذا ادعى الكرامة لا يقطع بها، وأيضا أنه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة. جميع هذا عند من يجوّز للولي دعوى الولاية، وأما من لا يجوّز ذلك من حيث إن النبي مأمور بالإظهار لضرورة

الدعوة والولي ليس كذلك ولكن إظهاره  
يوجب طلب الإشهار والفخر المنهي عنهما،  
فإنه يفرق بينهما بأن المعجز مسبق بدعوى  
النبوة، والكرامة غير مسبقة بشيء من  
الدعوى قالوا:

قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله  
سبحانه: «لن يتقرب إليّ المتقربون بمثل أداء  
ما افترضت عليهم» «١» .

لكن المتقرب إلى الله بأداء الفرائض لا  
يحصل له شيء من الكرامات، فالمتقرب  
إليه بأداء النوافل أولى بأن لا يحصل له

~~~~~  
ذلك. وأجيب بأن الكلام في المتقرب إليه  
بأداء الفرائض والنوافل جميعاً. قالوا: قال  
تعالى: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا  
بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ [النحل: ٧]

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب ٣٨.  
فالقول بطي الأرض للأولياء طعن في الآية  
وطعن في محمد صلى الله عليه وسلم حين  
لم يصل من المدينة إلى مكة إلا في أيام.  
وأجيب بأن الآية وردت على ما هو المعهود  
المتعارف وكرامات الأولياء أحوال نادرة

فتصير كالمستثناة من ذلك العموم، وإن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن قاصرا عن رتبة بعض الأولياء ولكنه لم يتفق له ذلك، أولعله اتفق له في غير ذلك السفر قالوا: إذا ادعى الولي على إنسان درهما فإن لم يطالبه بالبينة كان تاركا لقوله: «البينة على المدعي» «١» .

وإن طالبه كان عبثا لأن ظهور الكرامة عليه دليل قاطع على أنه لا يكذب ومع الدليل القاطع لا يجوز العمل بالظن. والجواب مثل ما مر من أن النادر لا يحكم به. قالوا: لو جاز

ظهور الكرامة على بعض الأولياء لجاز على  
كلهم، وإذا كثرت الكرامات انقلب خرق  
العادة وفقا لها.

وأجيب بأن المطيعين فيهم قلة لقوله تعالى:  
وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ [سبأ: ١٣] والولي  
فيهم أعز من الكبريت الأحمر، واتفاق  
الكرامة للولي أيضا على سبيل الندره فكيف  
يصير ما يظهر عليه معتادا؟! في الفرق بين  
الكرامات والاستدراج هو أن يعطيه الله كل  
ما يريد في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وقد  
يسمى مكرا وكيدا وضلالا وإملاء، والفرق أن

صاحب الكرامة لا يستأنس بها ولكنه يخاف  
سوء الخاتمة، وصاحب الاستدراج يسكن  
إلى ما أوتي ويشغل به، وإنما كان  
الاستئناس بالكرامات قاطعا للطريق لأنه  
حينئذ اعتقد أنه مستحق لذلك وأن له حقا  
على الخالق فيعظم شأنه في عينه ويفتخر  
بها لا بالمكرم، ولا ريب أن الإعجاب مهلك  
ولهذا وقع إبليس فيما وقع، والعبد الصالح  
هو الذي يزداد تذلله وتواضعه بين يدي  
مولاه بازدياد آثار الكرامة والولاية عليه. قرأ  
المقرئ في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق



إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ  
يَرْفَعُهُ [فاطر: ١٠] فقال: علامة رفع العمل  
أن لا يبقى منه في نظرك شيء، فإن بقي فهو  
غير مرفوع.

واختلف في أن الولي هل يعرف كونه ولياً؟  
قال الأستاذ أبو بكر بن فورك: لا يجوز لأن  
ذلك يوجب الأمن ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس: ٦٢] والأمن  
ينافي اعتقاد قهارية الله تعالى ويقتضي زوال  
العبودية الموجب لسخط الله. وكيف يأمن  
الولي وقد وصف الله عباده المخلصين

بقوله: وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا [الأنبياء: ٩٠]  
وأيضاً إن طاعة العباد ومعاصيهم لا تؤثر في  
محبة الحق وعداوته لأنها محدثة متناهية  
وصفاته قديمة غير متناهية، والمحدث  
المتناهي لا يغلب القديم غير المتناهي. فقد  
يكون

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرهن باب ٦.  
الترمذي في كتاب الأحكام باب ١٢. ابن ماجه  
في كتاب الأحكام باب ٧.

العبد في عين المعصية ونصيبه في الأزل هو المحبة وقد يكون في عين الطاعة ونصيبه المبغضية، ولهذا لا يحصل الجزم بكيفية الخاتمة. قيل: من هنا قال سبحانه: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا [الأنعام: ١٦٠] ولم يقل من عمل حسنة. ومن كانت محبته لا لعلة امتنع أن يصير عدواً لعلة المعصية وبالعكس، ومحبة الحق وعداوته من الأسرار التي لا يطلع عليها إلا الله أو من أطلعه عليها الله. وقال الأستاذ أبو علي الدقاق وتلميذه أبو القاسم القشيري:

إن للولاية ركنين: أحدهما انقياد للشريعة في الظاهر، والثاني كونه في الباطن مستغرقاً في نور الحقيقة. فإذا حصل هذان الأمران وعرف الإنسان ذلك عرف لا محالة كونه ولياً، وعلامته أن يكون فرحه بطاعة الله واستئناسه بذكر الله. قلت: لا ريب أن مداخل الأغلاط في هذا الباب كثيرة، ودون الوصول إلى عالم الربوبية حجب وأستار من نيران وأنوار، فالجزم بالولاية خطر والقضاء بالمحبة عسر والله تعالى أعلم.

قال المفسرون: إن اليهود حين قالت لقريش:  
سلوا محمدا عن مسائل ثلاثة عن الروح  
وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين  
فسألوهن قال صلى الله عليه وسلم: أجيبكم  
عنها غدا ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه  
خمس عشرة ليلة. وقيل: أربعين يوما ثم نزل  
قوله: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا  
أي لأجل شيء تعزم عليه ليس فيه بيان أنه  
ماذا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ فَقَالَ الْعُلَمَاءُ: إنه لا  
يمكن أن يكون من تمام قوله إِنِّي فَاعِلٌ إِذ  
يصير المعنى إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا أَفْعَلَهُ أَي

إلا أن تعرض مشيئة الله دون فعله وهذا ليس منبها عنه. فالصواب أن يقال: إنه من تمام قوله: وَلَا تَقُولَنَّ ثُمَّ إِنْ قَدَرِ الْمَرَادُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تَقُولَ إِنِّي فَاعِلُ ذَلِكَ غَدًا أَي فِيمَا يَسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ وَلَمْ يَرِدِ الْغَدُ بَعِينَهُ. وَقَوْلُهُ: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تَقُولَهُ بِأَنْ يَأْذَنَ لَكَ فِي ذَلِكَ الْإِخْبَارِ كَانَ مَعْنَى صَحِيحًا، وَلَكِنَّهُ لَا يَكُونُ مُوَافِقًا لِسَبَبِ النُّزُولِ. فَالْمَعْنَى الْمُوَافِقُ هُوَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ هَذَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَي لَا تَقُولُنَّهُ إِلَّا مَتَلَبِّسًا بِأَنْ يَشَاءَ اللَّهُ يَعْنِي قَائِلًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَهَذَا نَهْيٌ تَأْدِيبٌ

~~~~~

لنبيه صلى الله عليه وسلم لأن الإنسان إذا قال سأفعل الفعل الفلاني غدا لم يبعد أن يموت قبل مجيء الغد أو يعوقه عن ذلك عائق، فلو لم يقل إن شاء الله صار كاذبا في هذا الوعد والكذب منهي وجوز في الكشاف أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأييد كأنه قيل: ولا تقولنه أبدا. قال أهل السنة: في صحة الاستثناء بل في وجوبه دلالة على أن إرادة الله تعالى غالبية وإرادة العبد مغلوبية ويؤكد أنه إذا قال المديون القادر على أداء الدين: والله لأقضين هذا الدين

غدا ثم قال: إن شاء الله فإذا جاء الغد ولم يقض لم يحنث بالاتفاق، وما ذاك إلا لأن الله ما شاء ذلك الفعل مع أنه أمره بأداء الدين، وإنما لم يقع الطلاق في قول الرجل لامرأته: أنت